

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } * { اللَّهُ الصَّمَدُ } (1-2)

قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الآية: 1].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطاء: قل في غير هذا الموضع في القرآن أى: أظهر ما بينا لك وأوحينا إليك بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدى بها أهل الهداية والهياء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى ما يدريك حقائق نعوته، وصفاته بالحواس، والأحد المتفرد الذى لا نظير له والتوحيد هو الإقرار بالأحادية والوحدانية وهو الانفراد.

قال الواسطى رحمه الله فى قوله: { قُلْ هُوَ } قال: " حرف " ليست " هو " باسم، ولا وصف، ولكنه كتابة عن الذات وإشارة إلى الذات، علم الحق من يلحد فى الأسماء والصفات ويفرقون بين الصفة والموصوف فقال: " هو " لا يكون فرقاً بين هويته، و " هو " إذ لم يكن فرقاً بين هويته، و " هو " لم يكن فرقاً بين أسمائه وصفاته.

قال أبو سعيد الخراز: إن الله أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما ورائها وهو قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } فتم به المراد للخواص ثم زاد بياناً للخلق فقال: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } فمن فهم معنى الله استغنى به عن غيره.

وقال ابن عطاء: { هُوَ } ، هو ولا يقدر أحدًا أن يخبر عن هويته إلا هو لا عبلة لأحد عنه، حقيقة الإله عن نفسه فيخبر عن نفسه بحقيقة حقه، والأخبار يخبرونه عنه على حد الأذن فيه، والأمر فأخبر عن نفسه بأنه هو الله أشار من نفسه إلى نفسه إذ لم يستحق أحد أن يشير إليه سواه فمن أشار إليه فإنما أشار إلى إشارته إلى نفسه فمن تحقق إشارته إلى بشلته بالتعظيم والحرمة، كانت إشارته صحيحة على حد الصواب ومن وقعت إشارته على حد الدعوة بطلت إشارته وبعدت عن معادن الحقيقة.

قيل للحسين: أهو هو قال: بل هو وراء كل هو، وهو عبلة عن ملك ما لا يثبت له شيء دونه.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم يقول: قال ابن عطاء في قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } هو المنفرد بإيجاد المفقودات والمتوحد بإظهار الخفيات.

قال الحسين: الأحد الكائن عند كل منعوت، وإليه يصير كل مربوب يطمس من ساكنه، ويطرح من تأوله أن أشهدك إياه فإنك وإن غيبت عنه رعاك.

وقال الحسين: توحيد الأئمة توحيد رضى به لهم فأما الذى يستحقه الحق فلا لأن القائل عنكم سواكم، والمغير عنكم غيركم فسقطتم أنتم، وبقي من لم يزل كما لم يزل.

قال بعضهم: توحدتم وَّحَّد، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن يوحد الحق له.

قال فارس: أحد في وحدانيته، واحد في أحديته ليس يحس بالغير كيف، ولا حس، ولا غير منه الكائن كل منعوت، وإليه يصير كل مربوب.

قال الحسين: خلق الله الخلق على علمه، وأظهر الأشياء فيهم بقدرته، ودعاهم إلى توحيده ووحدانيته في المعرفة الأصلية بلسان الطباع فقال: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * } ولم يكن له كفواً أحد .

قال القاسم: قوله: { اللَّهُ } تعرفهم أن له الأسماء الحسنى فكل مربوب منه بصفة واسم. وقال في قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } لم تقتصر على اسمه بل عدك بهم إلى أسامي آخر، وأخبر بانحطاط رتبهم فقال: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } أنى كان يخطر بقلوب العارفين شبهة حتى أخبر بهذه الصفة، ولكن الله تعالى علم ما في سرائر العوام من الخواطر الفاسدة فأزالها عنهم بقوله: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } فأهل الحقائق عرفوا الله وواجههم به من اسمه الله.

قال الواسطي رحمه الله في قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، { قُلْ هُوَ } : جواب لمن زعم أن معه إلهاً، لأن نفى الغيب حيث يستحيل الغيب غيباً، فرق بين جواب توهم السرائر، وجواب توثب العقول.

وقال الحسين: الواحد في معناه، والكمال في ذاته هو الأيدى في دوام الأوقات الكائن عنه كل منعوت.

وقال ابن عطاء: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } إشارة منه إليه، حين قال الكفار: انسب لنا ربك.

قال أبو بكر بن عبدوس: { الصَّمَدُ } المستغنى عن كل أحد.

قال ابن عطاء: { الصَّمَدُ } الذى لم يتبين عليه أثر فيما أظهره.

وقال جعفر: { الصَّمَدُ } الذى لم يعط خلقه من معرفته إلا الاسم، والصفة.

قال الجنيد رحمه الله: الصمد؟ الذى لم يجعل لأعدائه سبيلاً إلى معرفته.

وسئل بعضهم ما الصمد؟ فقال: إن ما يتسع له اللسان أو يشير إليه البيان من تعظيم أو تفريد أو توحيد أو تجريد فهو مطول، والحقيقة وراء ذلك لا تحبط به العلوم ولا يشرق عليه أحد لأن الصمد به ممتنعة عن جميع ذلك.

وقيل: { الصَّمَدُ } الذى لا تدرك حقيقة نعوته، ولا صفاته.

قال الواسطى رحمه الله: امتنع الحق بصمديته عن وقوف العقول عليه، وإشارتها إليه، ولا يعرف إلا بالطف أسدى بها الأرواح، وقال: { الصَّمَدُ } هو قطع التوهم فى العبرة وخفى الألفاظ فى الإشارة لا يجرى عليه جريان ما أجرى علينا مما ذكرها.

وقال ابن عطاء: { الصَّمَدُ } المتعالى عن الكون والفساد.

وقال جعفر: { الصَّمَدُ } خمس حروف الألف دليل على أحديته، واللام دليل على ألوهيته، وهما مدعمان لا يظهران على اللسان، ويظهران في الكتابة فدل ذلك على أن أحديته، وألوهيته خفية لا تدرك بالحواس، ولا تقاس بالناس فخفاؤه في اللفظ دليل على أن العقول لا تدركه، ولا تحيط به علمًا وإظهاره في الكتابة دليل على أنه يظهر على قلوب العارفين ويبدو لأعين المحبين في دار السلام والمعاد لأنه صادق فيما وعد فعله صادق وكلامه صادق، ودعا عباده إلى الصدق، والميم: دليل على ملكه فهو الملك على الحقيقة، والبدال: علامة دوامه في أبديته وأزليته وإن كان لا أزل، ولا أبد لأنهما ألفاظ تجرى على العوام عبارة، وقيل: الصمد السيد الذى لا يتناهى سؤدده.

قال الواسطى: الصمد الذى لا يستحرق، ولا يستغرق ولا يفترض عليه القواطع والعلل.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم يقول: قال ابن عطاء: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ظهر لك منه التوحيد، { اللَّهُ الصَّمَدُ } ظهر لك منه المعرفة، { لَمْ يَلِدْ } ، ظهر لك منه الإيمان، { وَ لَمْ يُولَدْ } ظهر لك منه الإسلام، { وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا } ظهر لك منه اليقين.

وقال الجنيد رحمه الله: الصمد الذى لا تدركه حقيقة نعوته وصفاته كما قال:

{ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }

[طه: 110].

قال بعضهم: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } على سبيل أنه معبود بالرسم، وهو وراء الرسم فجعل
عن أن يشار اليه بذكر التأله.

وقال بعضهم: { الصَّمَدُ } المصمود إليه في الحوائج، والذي { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } الذى لا نظير له في ذات، ولا فعل.

سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت أبا على الروذبارى يقول: وجدنا أنواع الشرك على
ثمانية أنواع: التنقص، التقلب، والكثرة، والعدد، والعلة، والمعلول، والأشكال، والأضداد
فنفى عز وجل عن صفته نوع الكثرة، والعدد بقوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ونفى
التقلب والتنقص بقوله: { اللَّهُ الصَّمَدُ } ونفى العلل والمعلول بقوله: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
{ ونفى الأشكال والأضداد بقوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }.

ويقال سمى سورة الإخلاص لأنه أخلص فيها معانى التوحيد.

وقيل: الأحد للعامية، والواحد للفضل.

وقيل: { الصَّمَدُ } الذى لا يستغنى عنه فى شىء من الأشياء.

وقيل: { الصَّمَدُ } الذى آيست العقول من الاطلاع عليه.

وقال الحسين بن الفضل: { أَلْصَمَدُ } الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء.

وقال بعضهم: الصمدية القطع بالإيأس عن المطالعة والوقوف على شيء من لطائف الصفات، وقيل: { أَلْصَمَدُ } الذى لا يؤثر فيه شيء.

وقيل: { أَلْصَمَدُ } الذى لا يتغير بإظهار الكون لأن الحدث لا يحدث لله صفة لم تكن.

{ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } (3)

قال ابن على: { لَمْ يَلِدْ } دليل على الفردانية، { وَلَمْ يُولَدْ } دليل على الربوبية.

وقال جعفر: جلّ ربنا أن تدركه الأوهام، والعقول والعلوم بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقولة سبحانه أن تصل الفهوم والعقول إلى كيفيته

{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ }

[القصص: 88]، وله البقاء والسرمدية، والأبدية، والوحدانية، والمشئمة والقدرة عز وجل تبارك وتعالى.

وقال الواسطى: نفى الحقائق، والإحاطة ثم أكده بقوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } فلا يشار إلى ما لا كقوله بوجه كيف يطلق اللسان بما لا كقوله، ولا مثل له إلا

إثبات دون المباينة وكيفية الصفات.

وقال عمرو المكي: تنزل الخلق بوادي العلم يبشر ما توحد به منه في القدم في تيه العمى فيما أخفاه وعلوه عن الأعداء في صحبة الأول بعلمه، وذلك قوله: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندراني يقول: سمعت أبا جعفر الملقب يحكي عن علي بن موسى عن أبيه عن جعفر بن محمد رضي الله عنهم في قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }.

قال معناه: أظهر ما تريده النفس بتأليف الحروف فإن الحقائق مصنونة على أن يبلغها، وهم أوفهم وإظهار ذلك بالحروف ليتهدى بها من ألقى السمع، وهو إشارة إلى غائب وإنما هو تنبيه على معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، والأحد الفرد الذي لا نظير له فمعنى قوله: { أَحَدٌ } أي معبود يأله الخلائق إليه فيعجزوا عن إدراكه فإنه بألوهيته متعال عن الإدراك بالعقول والحواس، و { الصَّمَدُ } المتعال عن الكون والفساد، و { الصَّمَدُ } الذي لا يوصف بالتغاير، وسورة الإخلاص خمس كلمات: { اللَّهُ أَحَدٌ } دلالة على الفردانية { اللَّهُ الصَّمَدُ } دلالة على العز و { لَمْ يَلِدْ } معرفة الربوبية { وَلَمْ يُولَدْ } معرفة التثنية { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } معرفة أن { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }

[الشورى: 11] وهذه بأجمعها تدل على الانقطاع إليه، والتبرئ مما سواه.